المستخلص

عبد الرزاق جبار سلمان .البناء الفني في الرواية العربية في العراق (٢٠٠٣-٢٠٠٦م) (رسالة ماجستير) .- بغداد : الجامعة المستنصرية : كلية الآداب : قسم اللغة العربية ،٢٠٠٩

اشتملت الصفحات السابقة على محاولة لدراسة البناء الفني في الرواية العربية في العراق (٢٠٠٣-٢٠٠٦) ، وقد تمخض البحث عن مجموعة من النتائج يمكن لنا أن نوجزها في هذه الخاتمة، وعلى النحو الآتي :

١- شهدت المدة موضع البحث تنوعاً كبيراً في النتاج الروائي، ففضلاً عن ظهور أعمال روائية لأسماء معروفة في الساحة الروائية العراقية مثل أحمد خلف وعيسى مهدي الصقر، وعيسى حسن الياسري، ولطفية الدليمي، وآخرين ، فقد برزت نصوص روائية متميزة لأسماء أخرى ظهرت في نهايات القرن الماضي، وبدايات الألفية الثالثة، مثل طه حامد الشبيب، وعلي بدر، وإلهام عبد الكريم، وآخرين ، كما اشتمل هذا النتاج على نصوص لكتّاب مغتربين مثل زهير الجزائري، وشاكر الأنباري، وعاتي البركات ، ونصوص أخرى لأسماء روائية لم تظهر لهم أعمال روائية قبل ٢٠٠٣ مثل كاظم عريبي العبود، وآمال كاشف الغطاء، ومرتضى علي عايد .

٢- لم تكن نصوص المدة المدروسة بعيدة عن تناول الوضع السياسي العراقي، ورصد تداعياته على المستويين الاجتماعي، والاقتصادي، بل على العكس فقد ارتبطت أغلب مضامين هذه النصوص بتتبع آثار هذا الوضع وانعكاساته على واقع الإنسان العراقي، وذلك من خلال استخدام خطاب مبسط شهد للمرة الأولى تحرراً من سطوة الرقيب الصارمة التي خيمت على واقع الإبداع الروائي منذ ثمانينات القرن الماضي، وتجسد هذا الخطاب عبر مستويين، المستوى الأول اعتمد البعد عن المباشرة باستخدام الترميز والتلميح والإشارة، فيما اعتمد المستوى الثاني التصريح والتقريرية والمباشرة، وبالصورة التي تسرع وصوله إلى المتلقي .

٣- من خلال دراستنا لعنصر الزمن وجدنا الإفادة الواسعة من قبل روائيي المدة موضع البحث من تقنيتي الاسترجاع والاستباق، وقد كان للتقنية الأولى الحضور الأكبر في تلك النصوص ، وتمثل ذلك من خلال استرجاع أيام الطفولة، او استذكار أحداث أو لحظات سابقة، تشعر عندها الشخصيات بنوع من الألفة والسعادة؛ لأنها تناقض الحاضر المتسم بالحزن، والقلق، وعدم الاستقرار، والمتجه نحو مستقبل مجهول غير مضمون .

ولم يقتصر اعتماد هذه التقنية على الطرائق التقليدية الكلاسيكية ، وإنما تمت الاستعانة بالطرق المستحدثة للاسترجاع مثل أسلوب المذكرات، والرسائل، وخلط الاسترجاع بأحلام اليقظة والخيالات الذهنية، هذا فضلاً عن استخدام أسلوب المونولوجات الداخلية التي قلما خلا منها نص من النصوص.

أما فيما يتعلق بتقنية الاستباق فقد كانت نسبتها من الاستخدام أقل بكثير من تقنية الاسترجاع، وجاءت أغلبها حزينة سوداوية النظرة تؤكد حزن الحاضر وقتامته، وتم استخدام هذه التقنية عبر عدة صيغ أو قنوات ، مثل النبوءة، والتوقع، والإشارات، والحدوس، والهواجس، والأحلام، وغيرها .

ومن دراستنا لسرعة الإيقاع الروائي وبطئه وجدنا ميل أغلب روائيي المدة موضع البحث إلى استخدام تقنيتي (الحذف والخلاصة) لتسريع السرد من خلال حذف الأزمنة الضامرة فنياً لترشيق جسد النص الروائي، ولإضفاء عنصر التشويق، وبث النشاط في ذهن المتلقي .

أما إبطاء السرد فتم من خلال استخدام تقنيتي (الوقفة والمشهد) ، وقد شكل الوصف النسبة الأكبر من تلك التوقفات التي تحصل في أثناء السرد، وتمظهر في وصف المكان، والشخصية، والأشياء، وأدى وظائف متنوعة منها ما كان لأغراض تصويرية تزيينية – وهي النسبة الغالبة- ومنها ما كان لأغراض تفسيرية، وإيهامية، كما أسهمت تعليقات الساردين أيضاً في إيقاف عجلة الزمن السردي .

وبالنسبة لتقنية (المشهد) فقد أسهمت المشاهد التصويرية والحوارية في إبطاء السرد أيضاً، وكانت نسبة الأولى منها أكبر بكثير من الثانية، حتى أن المشهد التصويري الواحد كان يمثل في بعض الأحيان مادة الرواية الأساسية، وعمودها الفقري .

٤- عند دراستنا للمكان الروائي وجدنا أن أنواع هذا المكان في نصوص المدة موضع البحث قد تمظهرت في ثلاثة أشكال هي (الأليف والمعادي والعتبة) .

وتوزع المكان الأليف على أشكال متعددة منها البيت، وأجزاء البيت، والمدينة، والوطن، وأغلب هذه الأمكنة هي أماكن ماضوية تلجأ إليها الشخصيات للهرب من ضغط الواقع، ومرارته . فيما توزع المكان المعادي هو الآخر على عدة أشكال منها البيت، والسجون، والمعتقلات، وأماكن الاغتراب ، وهي في أغلبها أماكن آنية مثلت الحاضر، وخرجت من رحم الواقع المؤلم الذي تعيشه الشخصيات . كما شكلت أماكن العتبة حضوراً واسعاً ومكثفاً في النصوص المدروسة، واقتصرنا على إبراز البعض منها لصعوبة الإحاطة بها كلها .

ومن خلال تتبعنا وتفحصنا للأمكنة التي وردت في النصوص المدروسة وجدنا أن المكان هو عنصر محايد قادر على حمل الدلالات والصفات كافة ، وأن نوعية هذا المكان إنما يحددها إحساس الشخصية به، والحالة النفسية التي تمر بها لحظة وجودها عنده .

٥- وعند دراستنا للسرد وأنماط الرؤى في النصوص المدروسة وجدنا أن نمط (الرؤية من الخلف) تغلب على النمطين الآخرين (الرؤية مع، الرؤية من الخارج) في نسبة الحضور ، إذ يجري السرد فيها بطريقة السرد الموضوعي والراوي العليم ، وهذا الاستخدام لم يحكمه عامل زمني بقدر ما يحكمه عامل فني؛ لأنه أتاح لكتّاب المدة المدروسة التحرك بيسر، وسهولة ، من دون أية محددات، أو ضوابط فنية، لإضاءة المناطق المظلمة ، واكتشاف المجهول منها، والتي كان التقرب منها، وإلى زمن قريب، يعد مساً بالمحرمات .

أما نمط (الرؤية مع) فقد جاء بالمرتبة الثانية في نسبة الحضور ، إذ يجري السرد فيها بطريقة السرد الذاتي والراوي المشارك في الأحداث، ومن خلال هذا النمط من الرؤى تم استخدام عدد من التقنيات المستحدثة في كتابة الرواية مثل (الرواية داخل الرواية) ؛ (الرواية متعددة الأصوات)، وتوظيف (الفانتازيا) و(الغرائبية) و(تداخل الرؤيا مع الواقع) .

وبالنسبة للنمط الثالث (الرؤية من الخارج) ، فلم نجد نصاً روائياً بُني بشكل كامل بالاعتماد على هذه الرؤية ، وإنما جاءت مجاورة لـ(الرؤية مع).

ومن خلال تفحصنا لأنظمة السرد (الذاتي والموضوعي) فقد وجدنا أنهما قد يتداخلان في النص الواحد ويتشاركان في سرد أحداثه ، وهذا ما يتبعه التعدد في أنماط الرؤى والرواة، واشتراك أكثر من شخصية روائية في رواية الأحداث .